

## غزة : فلسطين البوصلة

على امتداد شهر تموز/يوليو ٢٠١٤ شنت اسرائيل عدوانا عسكريا هو الأكبر في تاريخها والأكثر همجية على قطاع غزة. والذريعة كانت خطف ثلاثة من مستوطنينها في الضفة الغربية والعتور عليهم مقتولين في ظروف غامضة. وحملت اسرائيل حركة "حماس" مسؤولية مقتلهم من دون أي دليل.

أعدت معركة غزة ٢٠١٤ البوصلة الى مكانها الصحيح في غمرة الفتن والمعارك الجانبية التي تضرب المجتمعات العربية والاسلامية.

ضربت الفتنة سوريا منذ ثلاث سنوات ولا تزال تهشم في جسم الدولة والجيش والمجتمع والمدن والأرياف. وضربت الفتنة العراق مع غزوة التنظيمات المتطرفة المتمثلة خصوصا في ما يسمى "الدولة الاسلامية في العراق والشام" (داعش). والعراق في الأساس لم يهدأ منذ الغزو الأميركي له بل منذ ما قبل ذلك بعقود.

وأينما جال الانسان العربي والمسلم بناظريه لا تصدمه سوى صورة قاتمة حيث تنشغل ليبيا بحروب أبنائها واليمن بحروب عشائرها وقبائلها وتونس تواجه نذر الارهاب والسودان غارق في جغرافيته المنقسمة والصومال بات من الماضي اما الأردن فهو دائما مشروع لتوترات. ولا تستثنى الفتنة لبنان المثقل بالأزمات والمتخم بالطعنات سواء من اسرائيل او عبر حروبه الأهلية أو حروب الآخرين على أرضه.

ولعل أخطر ما يواجه الأمة العربية والاسلامية هي هذه الموجات المتطرفة التكفيرية والتي لا تعترف بالآخر سواء كان مسلما ام مسيحيا. وكانت آخر "انجازاتها" اعتداءاتها على مسيحيي الموصل وتخبيبرهم بين الأسلمة او التهجير أو الجزية.

وليس من شك ان لإسرائيل يدا طويلة وصلبة في كل هذه المؤامرات من خلال تدريب وتمويل وتسليح هذه المجموعات لتضرب الكيانات العربية والاسلامية من الداخل.

غير ان هذا يجب ألا يغفل حقيقة ان البيئات الحاضنة لهذه الجماعات المتطرفة موجودة وبكثرة في الدول العربية والاسلامية. وهذا يستوجب العمل بجدية كاملة على تنقية المناهج المدرسية والمدارس الدينية والقيادات الحاكمة من النزعات والعصبيات الراضية للآخر، وعلى سنّ نهج المواطنة التي تتجاوز الأديان والمذاهب وتنزع فتائل التفجير.

لقد تداخلت المشاريع المتصارعة في المنطقة وباتت الفوضى تعم المشهد السياسي والعسكري ولم يعد يفصل امتنا، عما كانت تشهده في عهود المغول الهمجيين من حرق وقتل وتدمير وعصور أبعد من القرون الوسطى، سوى تبدل الأسماء ونوعية السلاح المستخدم مع الحفاظ الكامل على عقلية التعصب والتوحش التي لا تنظر الى الإنسان سوى انه مجرد كيان حيواني.

جاء العدوان على غزة في السابع من تموز/يوليو ٢٠١٤ واستمرار الحرب حوالي الشهر لتعيد تصحيح النظرة الى ما يشهده العالم العربي والاسلامي وهي أن القضية الفلسطينية هي المبتدأ والمنتهى، وهي الهدف والمبتغى وهي الأصل والفرع وهي المعيار للموقف والعقيدة والنهج. لقد مضى اكثر من ٦٦ عاما على المؤامرة الصهيونية والغربية على فلسطين والعرب والمسلمين. ومع ان اسرائيل خاضت الحروب الكبرى والصغرى لتصفية القضية غير ان فلسطين لم تنطفئ جذوتها ولم تهن مقاومتها ولم تبرد حرارة الايمان الوطني والقومي الذي يعتمل في صدور الملايين من أبناء الأمة. كما لم تنجح "أوسلو" في طمس الهوية ولم تستطع "كامب دايفيد" و"وادي عربة" في خنق البيئة الحاضنة لأنبيل قضية.

جاء العدوان على غزة في غمرة أكبر انشقاق داخل العالم العربي والاسلامي. محاور ضد محاور. وعقائد ضد عقائد. وما يخلج ان البعض قد التزم الصمت تجاه مجازر اسرائيل ولم تحركه مشاهد الأطفال والنساء الذين مزقتهم قذائف الحقد، وغلب خصوماته مع بعض الأطراف الفلسطينية على أولوية الصراع مع العدو. ومع ان البعض من الفلسطينيين يتحمل مسؤولية تغليب البعد العقائدي في تحالفاته على اولوية البعد الوطني الفلسطيني واختار ان يكون حليفا لبلد أطلسي ولو كان مسلما، غير ان هذا لا يبرر في لحظة العدوان ومقاومته ان يقف البعض الآخر من العرب والمسلمين ومن الفلسطينيين متفرجين على العدوان الى حد تبريره حتى لا نقول دعمه.

إذا كان من فضيلة مؤلة لهذا العدو فهو انه يذكر البعض من العرب والمسلمين وحتى الفلسطينيين ان ميدان الصراع الحقيقي ليس في سوريا او العراق أو اليمن او ليبيا بل في فلسطين.

لقد جبهت المقاومة في غزة العدوان الاسرائيلي ورسمت معادلات جديدة اهمها ان ارادة المقاومة، متى توفرت، لا يهزمها أحد. ومنها ان الأمن الاسرائيلي لم يعد في مأمن في ظل وصول صواريخ المقاومة الى كل مكان في اسرائيل ونجاح المقاومة في فرض حظر للطيران الدولي فوق اسرائيل بعد تعطيل مطار بن غوريون وضرب الموسم السياحي في اسرائيل. وهذا كله سابقة يبني عليها لاحقا، فضلا عن التمكن من أسر جندي اسرائيلي وتكبيد جيش العدو خسائر عالية في الأرواح قاربت السبعين قتيلًا في صفوف الجنود وكلها في مواجهات عسكرية مباشرة. لقد فشلت اسرائيل في تحقيق أي هدف من عدوانها. حتى الهدف المتواضع في تدمير الأنفاق بين غزة واسرائيل لم يتحقق.

في حضرة فلسطين يسقط أي كلام عن أي قضية أخرى. ومهما اتسع نطاق السواد في سماء الأمة فلا بد من شهب ينير القلوب والعقول ليستقيم الإيمان بعيدا عن الفتنة. وهذا الشهب اسمه دائما وأبدا: فلسطين.

رئيس التحرير